# وبالوالدين إحساناً

د. عبدالرحمن بن علي الدوسري

## الإهـداء

أهـدي هـذا الإصـدار الجديـد إلـى جميـع قرائـي الأعـزاء وقارئـاتي العزيـزات فـي كل بقعة من بقاع المعمورة.

آمــلاً أن يكــون هديــة جميلــة وقيمــة ومقبولة.

عبد الرحمن بن علي الدوسري

# تقديم

في كتابه الجديد الذي بين أيديكم يقدم لنا الكاتب بعض الإرشادات والنصائح المتعلقة ببرّ الوالدين وما يجب علينا جميعاً نحوهم وكيفية التعامل معهم سواءً الآباء أو الأمهات ، برّ الوالدين من مبادئ شريعتنا السمحاء ومن أخلاقيات المسلم الحقّ.

نتمنى للكتاب والكاتب مزيداً من النجاحات المتلاحقة وللقراء الأكارم بأن يجدوا في هذا الكتاب ما يفيدهم في برّ والديهم.

**الناشر**

# البر بالوالدين (١)

قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٢٤]

أمر سبحانه وتعالى الإنسان بأن يرعى أبويه ، وبخاصة عندما يتقدمان في السن ، ويصبحان في حاجة إلى رعايته ومساعدته ، وأن ينفق عليهما ويخضع لهما ويرحمهما ، ويستجيب لرغباتهما في أدب واحترام ولين جانب وبدون تأفف أو امتعاض.

وهو إذ يفعل ذلك فإنما يرد جزءاً يسيراً مما سبق أن قدماه له، من رعاية عندما كان جنيناً في بطن أمه ، ثم رضيعاً في حجرها ، ثم طفلاً يسعى بين يدي أبويه ، ثم رجلاً يملأ حياتهما سعادة بحيويته ورجولته.

---

(١) موسوعة المرأة المسلمة – ج١ – هيا بنت مبارك البريك – ط٥ – ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

وأكد سبحانه الإحسان إلى الوالدين حتى ولو كانا غير مسلمين ، وأمر بالبر بهما على ألا يصل ذلك إلى حد طاعتهما في الخروج من دين الإسلام.

فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [العنكبوت:٨].

وخص الله سبحانه وتعالى الأم بالذكر ووصف ما تعانيه من متاعب الحمل والولادة ، وذكرها ليتذكرها الإنسان فيشعر بما لوالديه – وخصوصاً أمه – عليه من حقوق وواجبات ، ومالها عليه من فضل إذ هما سبب وجوده في الحياة – بإذن الله وأمره – وهما اللذان رعياه صغيراً وهو في حالٍ لم يكن يستطيع فيها أن يقوم بشيء من أمر نفسه لصغر سنه وضعف جسمه.فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى

ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان: ١٤ – ١٥].

وفي هذه الآيات الكريمة نرى أن الله – سبحانه وتعالى – قد خص الأم بذكر متاعبها في الحمل والولادة والرضاعة ، كما نرى أنه سبحانه وتعالى قد أوصى بأن يحرص الابن على معاشرة أبويه ومصاحبتهما في الدنيا بالمعروف ولو كانا كافرين على أن يظل متمسكاً بدين الإسلام ولا يطيعهما إن دعياه إلى الشرك أو الكفر بالله ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

كما نرى أن الله سبحانه قد أمر الإنسان أن يشكر والديه مع شكره لله – سبحانه وتعالى – فهما سبب وجوده في الحياة ، وهما اللذان رعياه حتى أصبح شيئاً مذكوراً ووقف على قدميه وشق طريقه في الحياة ، فالله – سبحانه وتعالى – هو المنعم بكل خير وهو المستحق للشكر والثناء وقد أمر بشكر الوالدين لأنهما الطريق الذي سخره سبحانه وتعالى لوصول نعمته بالحياة إلى عبده.

وقد أكد سبحانه وتعالى وجوب الإحسان إلى الوالدين ووجوب شكرهما مرة أخرى ، وخص الأم خاصة لمتاعبها في الحمل والرضاعة والتربية في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنٗاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ

كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف:١٥].

والبر بالوالدين من صفات الأنبياء الكرام والمؤمنين الأبرار. فقد أثنى الله – سبحانه وتعالى – على من كان باراً بوالديه من الأنبياء.

ومن خُلق الأبناء البررة بوالديهم الدعاء لهما ، فقد دعا إبراهيم عليه السلام لوالديه كما جاء في قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم:٤١].

وعلى النقيض من البر بالوالدين عقوقُ الوالدين فإن من عقّ والديه وعصى أمرهما بطاعة الله وبالإيمان وكذّب ما أنذراه به من البعث والنشور،فقد وصمه الله – سبحانه وتعالى – بالخسران ، وسيلقى جزاء عمله السيئ كما يلقى المؤمن ثواب عمله الصالح.قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى

قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحقاف:١٧-١٩].

## والدينا.. كيف نبرّهما؟

البر.. اسم جامع للخير وهو ضد العقوق ومعناه الصلة وفعل الخير والتوسع فيه واللطف والطاعة.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٢٤]

ولقد أعد الله للوالدين منزلة عالية ، ومكانة فضلى وفرض لهما حقوق كثيرة وكيف لا.. والوالدان مركز العاطفة الجياشة لا تعبر عنها الكلمات مهما كانت بليغة وبصفة خاصة الأم.(٢)

الأم هي مصدر الحنان والرعاية والعطاء بلا حدود. وهي المرشد إلى طريق الإيمان والهدوء النفسي وهي المصدر الذي يحتوينا ليزرع فينا بذور الأمن والطمأنينة.

---

(٢) من ثمرات برّ الوالدين – بثينة السيد العراقي.

وهي إشراقة النور في حياتنا ، ونبع الحنان المتدفق بل هي الحنان ذاته يتجسد في صورة إنسان. هي المعرفة التي تعرفنا أن السعادة الحقيقية في حب الله ، وهي صمام الأمان.

ولن تكفينا سطور وصفحات لنحصي وصف الأم وما تستحقه من بر وتكريم وعطاء امتناناً لما تفعله في كل لحظة ، ولكن نحصرها في كلمة واحدة هي النقاء والعطاء بكل صوره ومعانيه.

ولقد عُني القرآن الكريم بالأم عناية خاصة وأوصى بالاهتمام بها ، حيث أنها تتحمل الكثير كي يحيا ويسعد أبناؤها.

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى ببرها وحرم عقوقها ، وعلق رضاه برضاها ، كما أمر الدين بحسن صحبتها ومعاملتها بالحسنى ، رداً للجميل ، وعرفاناً بالفضل لصاحبه.

وحث النبي ﷺ على الوصية بالأم ، لأن الأم أكثر شفقة وأكثر عطفاً ، لأنها هي التي تتحمل آلام الحمل والوضع والرعاية والتربية ، فهي أولى من غيرها بحسن المصاحبة ، ورد الجميل ، وبعد الأم يأتي دور الأب ، لأنه هو المسؤول عن النفقة والرعاية فيجب أن يرد له الجميل عند الكبر.

والإسلام قدم لنا الأم بالبر على الأب لسببين:

**أولاً:** أن الأم تعاني بحمل الابن سواء كان ذكراً أم أنثى وولادته وإرضاعه والقيام على أمره

وتربيته أكثر مما يعانيه الأب ، وجاء ذلك صريحاً في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: ١٤].

**ثانياً:** أن الأم بما فطرت عليه من عاطفة وحب وحنان أكثر رحمة وعناية واهتماماً من الأب ، فالابن قد يتساهل في حق أمه عليه ، لما يرى من ظواهر عطفها ورحمتها وحنانها.

لهذا أوصت الشريعة الإسلامية الابن بأن يكون أكثر براً بها وطاعة لها ، حتى لا يتساهل في حقها ، ولا يتغاضى عن برها واحترامها وإكرامها.

ومما يؤكد حنان الأم وشفقتها أن الابن مهما كان عاقاً لها مستهزئاً بها معرضاً عنها ، فإنها تنسى كل شيء حين يصاب بمصيبة أو تحل عليه كارثة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: من أحسن الناس بحسن صحابتي؟ قال "«أمك». قال: ثم من؟ قال:

«أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال ثم من؟ قال: «أبوك».[٣]

والصحبة والمصاحبة هي الرفقة والعشرة، وأولى الناس بحسن المصاحبة وجميل الرعاية ووافر العطف والرفقة الحسنة هي الأم التي حملت وليدها وهناً على وهنٍ.

قال القرطبي: إن هذا الحديث يدل على أن محبة الأم والشفقة عليها ينبغي أن تكون ثلاثة أمثال محبة الأب، وذلك أن صعوبة الحمل، وصعوبة الوضع، وصعوبة الرضاع والتربية، تنفرد بها الأم دون الأب، فهذه ثلاث مشقات يخلو منها الأب.

لا نستطيع أن نغفل دور الأب على أبنائه والإظلال عليهم بحبه وخبرته وحكمته وإرشاده وتوجيههم التوجيه السليم الذي يبني ولا يهدم ويغير إلى الأفضل فيضمن الحياة الكريمة لأبنائه، ويسعد بتحقيق رسالته من تربية أبنائه التربية السليمة.

ولا يستطيع إنسان أن يحصي أو يقدر حق الآباء والأمهات على الأبناء، ولو يستطيع الأبناء أن يحصوا ما لاقاه الآباء والأمهات في سبيلهم، لاستطاعوا إحصاء ما يستحقونه من البر والتكريم ولكنه أمر فوق الوصف خاصة ما تحملته الأم من

---

(٣) متفق عليه.

حمل وولادة وإرضاع وسهر بالليل وجهد متواصل بالنهار في سبيل الرعاية المطلوبة.

ولقد كرم الإسلام الأم واعتبر لها مكانة عظيمة ، فهي التي حملت وأنجبت وربت وضحت ، وتحملت الكثير كي يسعد أبناؤها ، وحافظت على النعمة التي أنعم بها الله عليها « نعمة الأمومة » وعلّمت وقوّمت لتخرج جيلاً فاضلاً يشع بالإيمان والحب والخير والعطاء الغزير ، والوفاء الكبير.

فالأم غالية وشامخة في كل يوم ، ولابد من تكريمها والبر بها في كل لحظة سواء كانت على قيد الحياة أم في رحاب الله.

والجنة تحت أقدام الأمهات ، ومن بر أمه وتحمل في سبيل تكريمها واحترامها وعرف أنه مهما قدم فلن يوفي حقها ، وأنها طالما تحملت من أجلهلكي يحيا ويسعد ويهنأ ، قد أطاع الله ورسوله ﷺ، وأصبح من الفائزين بحب الله ورضاه وبمكان في الجنة.

وشدد الرسول ﷺ في فهم البر والعمل به لأصحابه وكرره عليهم قرآناً منزلاً إليه من فوق سبع سماوات ، فعاشوا فيه ومعه وبه ، فلم يكن البر كلاماً يردده في المجالس ، ويرويه عنه فحسب ، بل كان عملاً ومنهاج حياة ، ومربط حركة أيامهم معه ، وارتباط أعمالهم كلها.

علمهم أن البر هو الصدق ، فكانوا يقولون: صدق فلان وبر ، والبرُّ هو الإخلاص الذي يفضي إلى القبول، وهذا معناه في قوله لهم: « حج مبرور».

وعلمهم أن البر هو التقوى والصلاح في النفس وهو فعل الخير للغير والإصلاح بين الناس ، وحسن التعامل معهم.

وعلمهم أنه لا يتم ذلك كله ، ولا يتحقق معنى البر والهدف منه وقبوله عند الله ، إلا بأول من أوجب الله فيه البر ، والبر للوالدين والأقربين من الأرحام. وتلا عليهم في ذلك قرآناً تزلزل له الأرض في قوة وعده البارين بالوالدين والواصلين للأرحام ، وقوة وعيده العاقين والقاطعين.

أمر صريح بالإحسان بالوالدين والعطف عليهما والرفق بهما والطاعة لهما ، وعدم الإساءة إليهما ولو بكلمة همس أو وسوسة في داخل النفس.

وقف معهم طويلاً عند معنى الإحسان ، فعرفوا أن أفضل البر هو الإحسان ، وأفضل الإحسان هو الإحسان بالوالدين والأقربين ، وذرفت عيونهم دموعاً خشية وبراً وتقوى حين رأوا ربهم يكرر عليهم في آيات بينات: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦].

كان القرآن يتوالى عليه في النزول من السماء يضرب الأمثلة بما أمر الله به الأمم التي سبقتهم محدداً مراتب الإحسان وأولى الناس به، ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ٨٣]

وتوقفوا طويلاً عند ورود الإحسان بالوالدين والأقربين بعد توحيد الله مباشرة ، وطال تدبرهم وتأملهم في حكمة ربهم حين جعل الإحسان بالناس ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾.مقدماً على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة كما يقول الدكتور محمد أبوبكر حميد.

ورأوا عجباً أن يربط ربهم بين كراهيته للمتكبرين المختالين وبين الإحسان بالوالدين والأقربين ومن يليهم من المساكين في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ

وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ [النساء: ٣٦]

فأوضح أنه لا يعق والديه ولا يقطع رحمه ولا يجفو اليتيم والمسكين والجار والصاحب وابن السبيل إلا المختال الفخور ، والكبر جهل عن قصد وأكد لهم أنه لا يدخل الجنة من في قلبه ذرة من كبر ، وكيف يدخل الجنة من يعلن الله من فوق سبع سماوات أنه لا يحبه!

وعندما سئل ابن عباس ﷺ عن أصحاب الأعراف من هم؟ وما الأعراف ، فقال: أما الأعراف. فهو جبل بين الجنة والنار ، وإنما سمي الأعراف ، لأنه مشرف على الجنة والنار ، وعليه أشجار وثمار وأنهار وعيون وأما الرجال الذين يكونون عليه ، فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم ، وأمهاتهم فقتلوا في الجهاد ، فمنعهم القتل في سبيل الله من دخول النار ، ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة فهم على الأعراف حتى يقضي الله فيهم أمره ، اللهم أحفظ بلادنا من شر كل حاسد.

وعن معاوية بن جاهمة أن جاهمة جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: أردت الغزو وجئت أستشيرك؟

فقال: «هل لك من أم »؟ قال: نعم ، فقال: «فالزمها فإن الجنة عند رجليها ».[٤]

الولد وماله لأبيه ، عن جابر ، أن رجلاً قال: يا رسول الله ، إن لي مالاً وولداً، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي ، فقال: « أنت ومالك لأبيك »[٥].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه »[٦].

وقد فرض الله شكر الوالدين والإحسان إليهما بكل الطرق والوسائل بعد الشكر لله سبحانه وتعالى.

---

(٤) رواه أحمد ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي وحسنه الألباني. ورواه الطبراني في الكبير بلفظ: « ألك والدان »؟ قلت: نعم ، قال: « الزمهما فإن الجنة تحت أرجلهما »، قال المنذري عن إسناد الطبراني: إسناد جيد.

(٥) رواه ابن ماجه قال البوصيري: إسناده صحيح وصححه الألباني ، وله شاهد من حديث عبدالله بن عمر ، ولفظه: ( أنت ومالك لأبيك ، إن أولادكم من أطيب كسبكم فكلوا= من كسب أولادكم ) رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني ، قال ابن الأثير: الاجتياح الإستئصال.

(٦) أخرجه مسلم.

لذا فإن حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما يقول: ثلاث آيات مقرونات بثلاث ، ولا تقبل واحدة بغير قرينتها:

**الأولـــــــى:** ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [التغابن:١٢] فمن أطاع الله ولم يطع الرسول ﷺ لم يقبل منه .

**الثانية:** ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة:٤٣] **فمن صلى ولم يزكِّ لم يقبل منه.**

**الثالثـــة:** ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان: ١٤]، فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه.

ويبين الله سبحانه أنك مأمور ببر الوالدين مهما فعلا من ذنوب حتى لو أشركا. بل لو جاهداك على الشرك فأنت مأمور بإحسان الصحبة إليهما ، ولكن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. واختار الله الشرك والدعوة إليه ، لأنه أعلى الذنوب وأكبر الكبائر فمهما كان الأب أو الأم على انغماس في المعاصي والشهوات فأنت مأمور ببرهما وإحسان الصحبة لهما ومأمور بعدم طاعتها طالما يدعوانك إلى باطل. فما بالنا ونحن نرى غالب آباءنا مسلمين

أتقياء لله تعالى ، ومع ذلك نقدم لهما العقوق والجحود؟!

قال رسول الله ﷺ: «رغم أنفه ، رغم أنفه » ، قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك أبويه عنده الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة»(٧).

وعن جابر ﷺ قال: رقى النبي ﷺالمنبر ، فلما رقى في الدرجة الأولى قال: آمين ، ثم رقى الثانية فقال: آمين ، ثم رقي الثالثة فقال: آمين: قالوا يا رسول الله سمعناك تقول آمين ثلاث مرات ، قال: «لما رقيت الدرجة الأولى جاءني جبريل فقال شقي عبد أدرك رمضان فانسلخ منه ولم يغفر له ، فقلت آمين. ثم قال: شقي عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة ، قلت آمين. ثم قال: شقي عبد ذكرت عنده ولم يصل عليك ، فقلت آمين ».

ومن بر الوالدين: النفقة عليهما إذا احتاجا لقوله عز وجل:﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان:١٥] ،وقوله عز وجل:﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء:٢٣].

---

(٧) صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ.

ومن برهما: توقيرهما واحترامها ، عن هشام بن عروة عن أبيه أو غيره أن أبا هريرة ﷺأبصر رجلين فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ فقال: أبي. فقال: لا تسمه باسمه ، ولا تمش أمامه ، ولا تجلس قبله.

ومن برهما: دعوتهما إلى الله عز وجل: روى مسلم وأحمد عن أبي كثير السحيمي قال: «سمعت أبا هريرة ﷺيقول: ما سمع بي أحد يهودي ولا نصراني إلا أحبني. إن أمي كنت أريدها على الإسلام فتأبى. فقلت لها: فأبت. فأتيت النبي ﷺ فقلت: ادع الله لها فدعا ، فأتيتها وقد أجافت عليها الباب فقالت: يا أبا هريرة إني أسلمت. فأخبرت النبي ﷺ فقلت: ادع الله لي ولأمي فقال: «اللهم عبدك أبا هريرة وأمه أحبهما إلى الناس»[٨].

ومن برهما: الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما بعدهما.

عن محمد بن سيرين قال: كنا عند أبي هريرة ﷺليلة قال: اللهم اغفر لأبي هريرة ولأمي ولمن استغفر لهما. قال محمد: فنحن نستغفر لهما حتى ندخل دعوة أبي هريرة.

---

(٨) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد.

ومن برهما: صلة أهل ودهما. ففي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أبر البر صلة أهل ود أبيه بعد أن يولي»(٩).

ومن برهما: قضاء دينهما والحج عنهما، والوفاء بنذرهما.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمرت امرأة سنان بن سلمة الجهني أن يسأل رسول الله ﷺ أن أمها ماتت ولم تحج أفيجزئ عن أمها أن تحج عنها؟ فقال ﷺ: «نعم لو كان على أمها دين فقضته عنها ألم يجزئ عنها؟ فلتحج عن أمها»(١٠).

❀❀❀

(٩) رواه مسلم.

(١٠) رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي.

## البّر بالوالدين حق من حقوهما (١١)

حق الوالدين مقرون بحق الله تعالى في كتابه المجيد ، قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء:٢٣ – ٢٤]

والبر بالوالدين خُلق يربى عليه الولد منذ الصغر لا سيما البر بالأم وحقها أعظم وآكدوذلك من خلال مظاهره الكثيرة كخفض الصوت عند مخاطبة الوالدين وتقبيلهما واستئذانهما عند الخروج من البيت ، ومناداتهما بسمة الأبوة والأمومة ونحو ذلك مما يستوعبه عقل الطفل المميز.

ثم ومع تقدم السنين يربى على سمات البر بهما بتبصيره بحقوقهما ومكانتهما في الدين ، وأن البر بهما أفضل الأعمال بعد الصلوات المفروضة

---

(١١) مسؤولية الآباء تجاه الأولاد تأليف د. عبدالربّ نواب الدين آل نواب – ط٢– ١٤٢٣هـ

وأنه مقدم على جلائل الأعمال كالجهاد في سبيل الله كما في حديث النبي ﷺ: لما سأله عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أي العمل أحب إلى الله؟ قال: « الصلاة على وقتها » ، قال: ثم أي؟ قال: « ثم بر الوالدين » قال: ثم أي؟ قال: « الجهاد في سبيل الله »(١٢).

وتعريفهما بعد ذلك بالعقوق وصوره وشناعته وقبحه وأنه ليس من أخلاق المسلمين.

حتى إذا راهق الولد الحلم عرف حق والديه واستقر ذلك في نفسه وتمرس على أدائه والقيام به ، وكلما تقدمت به السن ازداد بره بوالديه وكثر دعاؤه لهما كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ ﴾ [الأحقاف: ١٥]

وكثير من الآباء الذين يتجرعون غصص العقوق من أولادهم إنما يذوقون وبال أمرهم بإهمالهم التربية في الصغر ، ومنه قول قائلهم: يا أبت أهملتني صغيراً وعققتك كبيراً!.

---

(١٢) متفق عليه.

## بر الوالدين حديث لا يمّل

فالحديث عن الوالدين لا يمل ، ولا يكل وقد وصى ربنا سبحانه وتعالى بالإحسان إليهما ، فإن الله سبحانه وتعالى جعلهما سبباً لخروجك من العدم إلى الوجود ، وكثيراً ما يقرن الله – سبحانه وتعالى – بين عبادته والإحسان إلى الوالدين ، كقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

### أخي وأختي في الله:

فمن أراد الجنة فليلزم بر والديه ، وليحذر ثم ليحذر أشد الحذر من عقوقهما وقطيعتهما ، وأن لا يسمعهما قولاً سيئاً، حتى ولا التأفف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء:٢٣– ٢٤].

وعن أبي عبد الرحمن عبدالله بن مسعود ﷺ. قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: « الصلاة على وقتها » قلت: ثم أي؟ قال: « بر الوالدين » قلت: ثم أي؟ قال: « الجهاد في سبيل الله»(١٣).

فلنحرص أشد الحرص على رضاهما وإسعادهما ، وراحتهما ، ولين الجانب والحديث معهما ، والتواضع لهما ومشاورتهما وأخذ رأيهما والجلوس معهماوالأكل والشرب معهما ، وخدمتهما وقضاء حوائجهما ، وأن نقول لهما قولاً لينا طيباً حسناً بأدب وتوقير وتعظيم ، فلنجد ولنجتهد ، ولنحرص على أن نصيب دعوة صالحة منهما فإن دعوة الوالدين لا ترد.

**أخي وأختي في الله :**

إن عقوق الوالدين محرم ومن كبائر الذنوب ، والعاق لوالديه لابد أن يرى عقوبة عقوقه بوالديه في الدنيا قبل الآخرة ، وهو دين وسوف يتقاضاه في الدنيا قبل الآخرة لذا فليحذر كل من عذب وعق والديه أن الله له بالمرصادألا فليتق الله من كان ذلك

(١٣) متفق عليه.

فعله بوالديه ، فلا تسمعهما حتى كلمة (أف ) فما ظنك في الذي أكبر منها.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٧ – ١٩]

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الكبائر: الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس». (١٤)

**أخي الفاضل.. أختي الفاضلة:**

**وفي الختام:**

يبق لنا بعد هذه الكلمات الطيبة التي أوضحت لنا جزءً يسيراً عن بعض فضل من كانوا سبباً في وجودنا في هذه الدنيا بعد الله -سبحانه وتعالى –

(١٤) رواه البخاري.

وما ينبغي نحوهما من الإجلال والاحترام ، إلا أن يراجع كل منا نفسه ، وينظر: أمقصر هو في حقهما ، أم بار بهما؟ فإن كانت الأولى فليستغفر الله وليندم على ما كان ، وليبدأ في برهما ، وإن كان قد ماتا أو أحدهما ، فليدع لهما ، وليترحم عليهما ، ويبر بصديقهما ، وإن كانت الأخرى فليشكر الله ، وليداوم على ذلك ، فإن من علامة قبول الحسنة ، إتباعها بالحسنة ، فإنما هذا من فضل الله عليه ، وليستغل وجودهما ببرهما قبل فوات الأوان. (١٥)

❀❀❀

(١٥) نصائح عامة – إعداد عبدالمحسن عبدالرحمن اللحيد – ١٤٣١هـ.

## البر بالوالدين خلق نبيل ضّد العقوق

بر الوالدين هو التوسع في الإحسان إليهما وهو أول واجبات الأبناء نحو الآباء والأمهات ، وفي هذا البر وردت آيات قرآنية عديدة وأحاديث نبوية كثيرة.

ونحن نذكر بعض النصوص دون استقصاء(١٦):

**قال تعالى:** ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [النساء:٣٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا

(١٦) تربية الناشئ المسلم للدكتور علي عبدالحليم محمود – ط٢-١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٢٤]

معنى ذلك أن الله سبحانه قد ألزم وأوجب عبادته وحده وقرن بذلك الإحسان إلى الوالدين – كما نرى ذلك في الآيتين – قال العلماء: من البر بهما والإحسان إليهما ألا يتعرض لسبهما ولا يعقهما فإن ذلك من الكبائر بلا خلاف ، وبذلك وردت السنة الثابتة الصحيحة ففي صحيح مسلم ما رواه بسنده عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « إن من الكبائر شتم الرجل والديه» ، قالوا: يا رسول الله ، هل يشتم الرجل والديه؟ قال: « نعم يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه».

ومن عقوق الوالدين مخالفتهما في أغراضهما الجائزة لهما ، كما أن برهما موافقتهما على أغراضهما.

وقال العلماء: إن بر الوالدين لا يختص بأن يكونا مسلمين ، بل إن كانا كافرين يبرهما ويحسن إليهما ، إذا كان لهما عهد ، ففي صحيح البخاري عن أسماء رضي الله عنها قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش ومدتهم إذ عاهدوا النبي ﷺ، فاستفتيت

النبي ﷺ فقلت: إن أمي قدمت وهي راغبة ، أفأصلها؟ قال: « نعم صلي أمك ».

ومن الإحسان إليهما والبر بهما – إذا لم يتعين الجهاد – ألا يجاهد إلا بإذنهما ، روى البخاري بسنده عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يبايعه على الهجرة وترك أبويه يبكيان فقال ﷺ: « ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما » فإن كان الجهاد فرضاً للنفير العام أو للعدوان على أرض المسلمين فلا يستأذنان.

وقد ألزم الإسلام الأبناء بصفة خاصة – إذا بلغ الأبوان الكبر من العمر – لأنهما سيكونان حينئذ بحاجة أشد إلى الأبناء – ألزم الأبناء في هذه الحالة أن يقابلوهم بالقول الموصوف بالكرامة في القرآن الكريم: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾وهو القول السالم من كل عيب ، روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « رغم أنفه ، رغم أنفه ، رغم أنفه » قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة».

ولا يجوز له أن يقول لهما أو لأحدهما ما فيه أدنى تبرم وهو كلمة «أفّ».

ولا يجوز له نهرهما أو زجرهما وإنما يناديهما بكلام لين لطيف مثل: يا أبتاه ، ويا أماه ، من غير أن يتذللوا للآباء تذلل الرعية للأمير ، والعبيد للسادةكما أشار إليه سعيد بن المسيب.

وعلى الأبناء أن يجعلوا التذلل للآباء نابعاً من الرحمة لهما.

وعلى الأبناء أن يدعوا الله للآباء والأمهات طالبين منه سبحانه الرحمة لهما – بشرط أن يكونا مسلمين – فإن كانا مشركين فهناك نهى عن طلب الاستغفار لهما. ولا بأس أن يطلبوا لهما الهداية في دعائهم لهما.

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه».

وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول اللهمن أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: « أمك» قال: ثم من؟ قال: « أمك» ، قال: ثم من؟ قال: « أمك» ، قال: ثم من؟ قال: « أبوك».

بالإضافة إلى ما ذكرنا من آيات وأحاديث هناك آيات كريمة وأحاديث نبوية ليست بالقليلة في

بر الوالدين والإحسان إليهما أو في التخويف من عقوقهما ، تلتمس في مظانها.

وبعد: فهذا هو واجب الأبناء الأول في التعامل مع البيت ، هو بر الآباء والأمهات على اعتبار أن ذلك من أهم عوامل استقرار الحياة الأسرية في الإسلام.

## بر الوالدين وذم العقوق (١٧)

قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [النساء:٣٦]. وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾[الإسراء: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ ﴾ [لقمان:١٤].

وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: لو علم الله شيئاً في العقوق أدنى من أف لحرمه ، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة ، وليعمل البار(١٨)ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار. وقيل: إن رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين.

وحكى أبو سهل عن أبي صالح ، عن أبي نجيح ، عن ربيعة ، عن عبدالرحمن ، عن عطاء بن أبي مسلم أن رسول الله ﷺ قال: « من حج عن

---

(١٧) المستطرف – للأبشيهي – ط١ – ١٩٩٧م.

(١٨) البار: من يحسن معاملة والديه بخلاف العاق.

والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة ، وكتب له براءة من النار ». وقال رسول الله ﷺ: « إياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ، ولا يجد ريحها عاق ».

وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه فأبطأ يوماً على إخوته فسألوه ، فقال: كنت أتمرغ في رياض الجنة ، فقد بلغنا أن الجنة تحت أقدام الأمهات. وبلغنا أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة. فكان آخر كلامه: يارب أوصني قال: « أوصيك بأمك حسناً » قال له سبع مرات. قال: حسبي. ثم قال: يا موسى إن رضاها رضاي وسخطها سخطي.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لابن مهران: لا تأتين أبواب السلاطين وإن أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ، ولا تخلون بامرأة وإن علمتها سورة من القرآن ، ولا تصحبن عاقاً فإنه لن يقبلك وقد عق والديه. وقال فيلسوف: من عق والديه عقه ولده. وقال المأمون: لم أر أحداً أبرمن الفضل بن يحيى بأبيه ، بلغ من بره له أنه كان لا يتوضأ إلا بماء ساخن فمنعهم السجان من الوقود في ليلة باردة

فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل إلى قمقم[١٩] من نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح ، فلم يزل قائماً وهو في يده إلى الصباح ، حتى استيقظ يحيى من منامه. وقيل: طلب بعضهم من ولده أن يسقيه ماء ، فلما أتاه بالشربة نام أبوه ، فما زال الولد واقفاً والشربة في يده إلى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه. وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: إن لي أماً بلغ منها الكبر أنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية ، فهل أديت حقها؟قال: لا لأنها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك ، وأنت تصنعه وتتمنى فراقها. وقال ابن المنكدر: بت أكبس [٢٠]رجل أبي وبات آخر يصلي ولا يسرني ليلته بليلتي.وقيل: إن محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الأمير الذي لا ينتصف منه. وقيل لعلي بن الحسين رضي الله تعالى عنه: إنك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك في صحفة فقال: أخاف أن تسبق يدي يدها إلى ما تسبق عيناها إليه فأكون قد عققتها.

❀❀❀

(١٩) القمقم: وعاء من نحاس يسخن فيه الماء

(٢٠) كبس رجله: إذا ليّنها بيديه.

## البر بالوالدين والإحسان إليهما (٢١)

بعدما بنيت العقيدة الصحيحة في نفس الابن بعد تنقيتها وتطهيرها من الشوائب.. جاء الإحسان إلى الوالدين كلبنة ثانية في البناء التربوي.الله تعالى لم يترك للقمان ﷺأن يتولى نصح ابنه ووعظه وإرشاده إلى الإحسان إليه – أي الأب – وإلى أمه وإنما تفضل رب العزة وتكرم فأوصى الإنسان بوالديه.

وهنا يبرز بر الوالدين والإحسان إليهما كنتيجة طبيعية لبناء العقيدة الصحيحة ، فمتى ما علم الإنسان بحق الله تعالى... فإنه لابد مدرك حق الوالدين عليه.

يقول تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: ١٤]

ثم نلاحظ من التوجيهات الربانية والتي تستخدم كأسس تربوية في توجيه الأبناء وتحديد مسؤولياتهم أن الله عز وجل مع توصيته ببر

(٢١) المرأة ماذا بعد السقوط؟ تأليف بدرية العزاز- ط٢- ١٩٨٨م.

الوالدين والإحسان إليهما في كل الأحوال وتحت كل الظروف إلا أنه عز وجل منع طاعتهما والاستجابة لهما حين يعملان على تفتيت البناء العقائدي الصحيح واستبداله بعقيدة واهية ضعيفة قائمة على الشرك بالله.

فالله تعالى يقول: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴾ [لقمان: ١٥].

لا طاعة للوالدين في مثل هذه الظروف.. ولكن الذي لابد منه أن يستمر الابن في الإحسان إليهما.

## عشر صور من بر الوالدين [٢٢]

١. مخاطبتهما بأدب ، وعدم التأفف لهما ، وعدم نهرهما ، قولي لهما قولاً كريماً. وطاعتهما في غير معصية الله ، والتلطف لهما ، وعدم العبوس بوجهيهما ، ولا تحدقي النظر إليهما غاضبة.
٢. حافظي على سمعتهما وشرفهما ومالهما ، ولا تثقلي كاهلهما بالمطالب الزائدة عن حاجتك بل عليك بالضروريات ، ولا تأخذي شيئاً بدون إذنهما. واعملي ما يسرهما ، ولو من غير أمرهما كالخدمة والاجتهاد في طلب العلم.
٣. أجيبي نداءهما مسرعة بوجه مبتسم قائلة: نعم يا أبي ، أو يا أمي ، ولا تقولي يا بابا وماما فهي كلمات أجنبية. وعليك بإكرام صديقات أمك ، وأقربائها في حياتها وبعد موتها.
٤. إياك ومجادلتهما أو تخطئتهما ، بل حاولي بأدب أن تبيني لهما الصواب. وثم إياك

---

(٢٢) الوصايا الذهبية للمرأة العصرية – هيا بنت مبارك البريك – ط٣ – ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

والعناد ، ورفع الصوت عليهما ، وعليهما وعليك بالإنصات لحديثهما والتأدب معهما ، ثم لا تزعجي أحد إخوانك إكراماً لوالديك.

٥. انهضي إليهما إذا دخلا عليك ، وقبِّلي رأسيهما. وساعدي أمك في البيت ولا تتأخري عن مساعدة أبيك.

٦. لا تخرجي إلا بإذنهما ، ولو لأمر هام. ولا تدخلي عليهما بدون إذن ، لاسيما وقت نومهما وراحتهما.

٧. لا تتناولي طعاماً قبلهما ، وأكرميهما في الطعام والشراب. وإياك والكذب عليهما ، ولا تلوميهما إذا عملا عملاً لا يعجبك.

٨. اطلبي رضاءهما قبل كل شيء ، فرضاء الله في رضاء الوالدين ، وسخطه في سخطهما.

٩. عليك ألا تجلسي في مكان أعلى منهما ، ولا تمدي ساقيك في حضرتهما متكبرة.

١٠. أختي المسلمة حذار أن تتكبري عن الانتساب إليهما إن كانا فقيرين ، وإياك أن تنكري معروفهما أو تؤذيهما ولو بالقول.

## فضائل البر بالوالدين

«رضا الله في رضا الوالدين ، وسخط الله في سخطهما»

فمن حظي بالرضا فقد فاز بكل خير وليس بعد الرضا شيء ، ولا يساويه أمر وفي ذلك فليتنافس المتنافسون».

### سعة الرزق وزيادة العمر:

قال رسول الله ﷺ: « من سره أن يعظم الله رزقه ، وأن يمد في أجله فليصل رحمه » وفي رواية للبيهقي: « فليبر والديه وليصل رحمه». وبر الوالدين هو في الحقيقة شكر الله كما قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤﴾ [لقمان: ١٤].

فمن كان باراً بوالديه كان شاكراً لهما ، ومن كان شاكراً لهما كان شاكراً لله ، ومن كان شاكراً لله فهو من أهل الزيادة.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ﴾ [إبراهيم: ٧] ولن

يحرم العبد من المزيد حتى ينقطع من شكره لله ولوالديه.

**تكفير للكبائر:**

عن عطاء بن يسار عن ابن عباس رضي الله عنهما أتاه رجل فقال: إني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني ، وخطبها غيري فأحبت أن تنكحه فغرت عليها فقتلتها فهل لي من توبة؟ قال: أمك حية؟ قال: لا ، قال: تب إلى الله عز وجل وتقرب إليها ما استطعت فذهبت فسألت ابن عباس: لم سألته عن حياة أمه؟ فقال: لا أعلم عملاً أقرب إلى الله عز وجل من بر الوالدة.

**البار له ثواب الحج والجهاد في سبيل الله:**

أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى ، قال: « فهل من والديك أحد حي »؟ قال: نعم بل كلاهما حي. قال: فتبتغي الأجر من الله؟ قال: نعم: قال: « فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما».

ولقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه. قال ﷺ: « هل بقي من والديك أحد »؟ قال: أمي. قال رسول الله ﷺ

فاسأل الله في برها فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد.

وهذا يدل على عظم فضيلة بر الوالدين ، حيث قال رسول الله ﷺ: إنه يعادل الحج والعمرة والجهاد في سبيل الله.

**حسن الخاتمة:**

من أسباب حسن الخاتمة بر الوالدين فمن عاش على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بعث عليه ، فمن عاش على بر الوالدين يموت على تلك الطاعة لله عز وجل. ويحكى عن شاب عاش على بر الوالدين فلما حضرته سكرات الموت جاء الناس يلقنونه الشهادة فكان يقول لهم: قولوا لا إله إلا الله.

**قبول الأعمال والتجاوز عن السيئات:**

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾

[الأحقاف: ١٥ – ١٦].

إن شكر الله على نعمه والإحسان إلى الوالدين كما أوصى الله عز وجل تمنح الإنسان - رحمة الله -به وتجاوز سبحانه عن سيئاته وقبول أعماله مما يجعله من أصحاب الجنة.

**دخول الجنة:**

فعن طيسلة بن مياس قال: كنت مع النجدات فأصبت ذنوباً لا أراها إلا من الكبائر ، فذكرت ذلك لابن عمر رضي الله عنهما، قال: ما هي؟ قلت: كذا وكذا قال: ليست هذه من الكبائر إلى أن قال: قال لي ابن عمر: أتفرق من النار – أي تخاف من النار – وتحب أن تدخل الجنة؟ قلت: إي والله ، قال: أحي والداك؟ قلت: عندي أمي ، قال: فو الله لو ألنت لها الكلام وأطعمتها الطعام ، لتدخلن الجنةما اجتنبت الكبائر».

❀❀❀

# الرحمة بالأبوين (٢٣)

## ونبدأ بحديث القرآن الكريم عن الوالدين:

* قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦]

* وقال عز وجل: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٢٤].

* وقال سبحانه: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾ [العنكبوت: ٨].

---

(٢٣) أخلاقنا تأليف د. محمد ربيع محمد – ط٥ – ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

* وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان: ١٤ – ١٥]

* وقال عز وجل: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ

أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٥ – ١٨]

## وأما الأحاديث عن بر الوالدين فإليك نماذج:

### ١ - أحاديث خاصة ببر الأم:

(أ) عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ، من أحق بحسن صحابتي؟ فقال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك: قال: ثم من؟ قال: أمك؟ قال ثم من؟ قال: ثم أبوك ».(٢٤)

(ب) عن معاوية بن جاهمة أن جاهمة جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللهأردت أن أغزو ، وقد جئت أستشيرك. فقال: هل لك من أم؟ قال: نعم. قال: فالزمها فإن الجنة عند رجلها »(٢٥)

---

(٢٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب: من أحق الناس بحسن الصحبة – الفتح ١٠/ ٤٠١، ومسلم في البر ، باب: بر الوالدين ٤/ ١٩٧٤ رقم ٢٥٤٨.

(٢٥) رواه ابن ماجه ، والنسائي ، واللفظ له ، والحاكم وقال: صحيح الإسناد – الترغيب والترهيب ٣/ ٣١٦.

(جـ ) عن أنس ﷺقال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه قال: هل بقي من والديك أحد؟ قال: أمي قال: قابل الله في برها ، فإذا فعلت ذلك ، فأنت حاج ، ومعتمر ، ومجاهد»(٢٦).

(د) عن أسماء بنت أبي بكر ﷺ قالت: قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺقلت: إن أمي قدمت وهي راغبة ، أفأصل أمي؟ قال: نعم صلي أمك.(٢٧)

(هـ ) عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما تكلم مولود من الناس في مهد إلا عيسى بن مريم ﷺ وصاحب جريج.

قيل: يا نبي الله ، وما صاحب جريج؟

---

(٢٦) رواه أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط ، وإسنادهما جيد – الترغيب والترهيب ٣/ ٣١٥.

(٢٧) أخرجه البخاري في كتاب الهبة ، باب الهدية للمشركين – الفتح ٥/ ٣٣٣ رقم ٢٦٢٠ ومعنى (راغبة ) أي: ترغب برابنتها لها ، وتخشى رد ابنتها لها لشركها بالله.

قال: فإن جريجاً كان رجلاً راهباً في صومعة له ، وكان راعي بقر يأوي إلى أسفل صومعته وكانت امرأة من أهل القرية تختلف إلى الراعي فأتت أمه يوماً فقالت: يا جريج –وهو يصلي -فقال في نفسه وهو يصلي: أمي وصلاتي. فرأى أن يؤثر صلاته ، ثم صرخت به الثانية. فقال في نفسه: أمي وصلاتي. فرأى أن يؤثر صلاته ، ثم صرخت به الثالثة ، فقال: أمي وصلاتي. فرأى أن يؤثر صلاته فلما لم يجبها قالت: لا أماتك الله يا جريج حتى تنظر في وجه المومسات. ثم انصرفت.

فأتى الملك بتلك المرأة ولدت ، فقال: ممن؟ قالت: من جريج. قال: صاحب الصومعة؟ قالت: نعم. قال: اهدموا صومعته ، وأتوني به. فضربوا صومعته بالفؤوس حتى وقعت ، فجعلوا يده إلى عنقه بحبل ، ثم انطلق به ، فمر به على المومسات ، فرآهن ، فتبسم وهن ينظرن إليه في الناس!! فقال الملك: ما تزعم هذه؟ قال: ما تزعم؟قال: تزعم أن ولدها منك. قال: أنت تزعمين؟ قالت: نعم. قال: أين هذا الصغير؟ قالوا: هو ذا في حجرها. فأقبل عليه فقال: من أبوك؟ قال: راعي البقر!!

قال الملك: أفنجعل صومعتك من ذهب؟ قال: لا. قال: من فضة؟ قال: لا. قال: فما نجعلها؟ قال: ردوها كما كانت.

قال: فما الذي تبسمت؟ قال: أمراً عرفته ، أدركتني دعوة أمي ، ثم أخبرهم »[٢٨].

(٢٨)أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١/ ١٠٤، وقريب منه في مسلم في كتاب البر والصلة ،باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها ٤/ ١٩٧٦.

## ٢ - أحاديث خاصة ببر الأب:

(أ) عن ابن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺقال: « رضا الرب في رضا الوالد ، وسخط الرب في سخط الوالد ». (٢٩)

(ب) وعن أبي الدرداءﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الوالد أوسط باب الجنة»(٣٠).

(جـ) وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺأتاه رجل ، فقال: يا رسول الله إن لي مالاً ووالداً ، وإن والدي يجتاح مالي. فقال: « أنت ومالك لوالدك ، إن أولادكم من أطيب كسبكم ، فكلوا من كسب أولادكم » (٣١)

---

(٢٩) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١/ ٤٢.

(٣٠) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ١٩٦.

(٣١) أخرجه أبو داود في البيوع ، باب: في الرجل يأكل من مال ولده ٣/ ٨٠١ رقم ٣٥٣٠ ، وهو في مسند أحمد ٢/ ٢١٤ ( يجتاح مالي ) أي: يأخذه.

(د) وعن أبي هريرة ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكاً ، فيشتريه فيعتقه». (٣٢)

(هـ) وعن عبدالله بن عمر ﷺأن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبدالله ، وحمله على حمار كان يركبه ، وأعطاه عمامة كانت على رأسه ،فقال ابن دينار: فقلت له: أصلحك الله! إنهم الأعراب ، وإنهم يرضون باليسير. فقال عبدالله: إن أبا هذا كان وداً لعمر بن الخطاب وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « وإن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه»(٣٣).

(و) وعن أبي بردة قال: قدمت المدينة ، فأتاني عبدالله بن عمر ﷺفقال: أتدري لم أتيتك؟ قال: قلت: لا. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحب أن يصل أباه في قبره ، فليصل إخوان

---

(٣٢) أخرجه مسلم في العتق ، باب: فضل عتق الوالد ٣/ ١١٤٨ ، رقم ١٥١٠ ، وأحمد في مسنده ٢/ ٤٤٥ ، والبخاري في الأدب ١/ ٦١.

(٣٣)أخرجه مسلم في البر والصلة ، باب: فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما ٤/ ١٩٧٩، أحمد في مسنده ٢/ ٨٨.

أبيه بعده» وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاء وود ، فأحببت أن أصل ذاك (٣٤).

(ز) وروى البخاري أن أبا هريرة ﷺ أبصر رجلين ، فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ فقال: أبي. فقال: لا تسمه باسمه ، ولا تمش أمامه ، ولا تجلس قبله(٣٥).

### ٣ - أحاديث خاصة ببر الوالدين معاً:

(أ) عن ابن مسعود ﷺأن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: قال: « الصلاة لوقتها ، بر الوالدين ، ثم الجهاد في سبيل الله»(٣٦).

( ب ) عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم ، وعفوا تعف نساؤكم »(٣٧).

---

(٣٤)رواه ابن حبان في صحيحه ، الترغيب والترهيب ٣/ ٣٢٣.

(٣٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١/ ١٢٠.

(٣٦) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب: وسمى ×الصلاة عملاً ١٣/ ٥١٠ رقم ٧٥٣٤.

(٣٧) رواه الطبراني بإسناد حسن – الترغيب والترهيب ٣/ ٣١٨.

(جـ) وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: « أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله ، قال: فهل من والديك أحد حي؟ قال: نعم ، بل كلاهما حي قال: فتبتغى الأجر من الله؟ قال: نعم. قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما »(٣٨).

(د) وفي رواية له قال: « جاء رجل إلى النبي ﷺ يبايعه على الهجرة ، وترك أبويه يبكيان. فقال: ارجع إليهما ، وأضحكهما كما أبكيتهما»(٣٩).

(هـ) عن ابن عمر ﷺ عن رسول الله ﷺقال: « بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر ، فمالوا إلى غار في الجبل ، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل ،فأطبقت عليهم ، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها.فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران ، ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم ، فإذا رحت عليهم ، بدأت بوالدي

(٣٨)أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب: بر الوالدين ٤/ ١٩٧٥ رقم ٢٥٤٩

(٣٩) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١/ ٦٦.

أسقيهما قبل ولدي ، وإنه ناء بي الشجر ، فما أتيت حتى أمسيت ، فوجدتهما قد ناما ، فحلبت كما كنت أحلب ، فجئت بالحلاب ،فقمت عند رؤوسهما ، أكره أن أوقظهما من نومهما ، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما ، والصبية يتضاغون عند قدمي ، فلم يزل ذلك دأبي دأبهم حتى طلع الفجر. فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا فرجة نرى منها السماء. ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء.

وقال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنة عم ، أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء ، فطلبت إليها نفسها ، فأبت حتى آتيها بمائة دينار ، فسعيت حتى جمعت مائة دينار فلقيتها بها ، فلما قعدت بين رجليها قالت: يا عبدالله ، اتق الله ، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه ، فقمت عنها ، اللهم فإن كنت تعلم أني قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، ففرج لنا منها. فرجة ففرج لهم فرجة.

وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز ، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي فعرضت عليه حقه ، فتركه ورغب عنه ، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقراً وراعيها ، فجاءني وقال: اتق الله ، ولا تظلمنيوأعطني حقي. فقلت: اذهب إلى تلك البقر وراعيها. فقال: اتق الله ولا تهزأ بي. فقلت: إني لا أهزأ بك ، فخذ تلك البقر

وراعيها ، فأخذه فانطلق ، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فأفرج ما بقي ، ففرج الله عنهم»(٤٠).

(و) عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدى قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله ، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟

قال: نعم ، الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما (٤١).

❀❀❀

(٤٠) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ١١٦ ، والبخاري في كتاب الأدب ، باب إجابة دعاء من بر والديه – الفتح ١٠/ ٤٠٤ رقم ٥٩٧٤.

(٤١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب: بر الوالدين ٥/ ٣٥٢ رقم ٥١٤٢.

## من معاني الإحسان إلى الوالدين [٤٢]

- ألا تحد النظر إليهما.
- ألا ترفع صوتك عليهما
- ألا تسبقهما بحديث.
- أعمل ما يسرهما ولو من غير أمرهما ، كالخدمة وشراء اللوازم.
- ألا تؤثر نفسك عليهما بطعام ولا بشراب.
- طلب الاستغفار من الوالدين.
- ألا تسب والديك ولا تجلب لهما السباب. وذلك بسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه.
- حافظ على سمعة والديك وشرفهما ومالهما.
- ساعد أمك في البيت ولا تتأخر عن مساعدة أبيك في عمله.
- انهض إلى والديك إذا دخلا عليك وقبل رأسيهما وأيديهما.

وقد أمرنا الله بالإحسان إلى الوالدين ، مع أن العدل درجة أقل من درجة الإحسان لأن العدل: أن تعطي من أعطاك مثلما أعطاك.

---

(٤٢) من ثمرات بر الوالدين ( مرجع سابق ).

أما الإحسان: فهي درجة أعلى من العدل بأن تزيد عن العدل أو تعطي بلا مقابل.

ومع أننا لا نستطيع أن نعدل مع آبائنا ، فقد أمرنا الله معهم بما هو فوق العدل حتى نشعر دائماً أننا مقصرون في حقهما ، وأننا مهما فعلنا لهم من برٍ فلا يمكن أن نكافئهم.

ولقد رأى ابن عمر ﷺ رجلاً يحمل أمه في الحج ويطوف بها فقال لابن عمر ﷺ: يا صاحب رسول الله: هل تراني وفيتها حقها؟ فقال ابن عمر: لا ولو بطلقة واحدة ولو بزفرة واحدة. فإنها كانت تفعل ذلك وترجو حياتك ، أما أنت فتنتظر موتها. فأنت لا تستطيع أن تكافئ أباك وأمك أبداًمهما فعلت لهما.

## الأدب مع الوالدين [٤٣]

يؤمن المسلم بحق الوالدين عليه وواجب برهما وطاعتهما والإحسان إليهما لا لكونهما سبب وجوده فحسب ، أو لكونهما قدما له من الجميل والمعروف ما وجب معه مكافأتهما بالمثل بل لأن الله عز وجل أوجب طاعتهما ، وكتب على الولد برهما والإحسان إليهما حتى قرن ذلك بحقه الواجب له من عبادته وحده دون غيره فقال عز وجل: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٢٤].

(٤٣) منهاج المسلم – أبو بكر الجزائري – ١٤٠٦هـ

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: ١٤].

وقال الرسول ﷺ للرجل الذي سأله قائلاً: « من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال أمك قال ثم من؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال أمك قال: ثم من؟قال: أبوك ».(٤٤)

وقال ﷺ: « إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ومنع وهات ، ووأد البنات ، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال ، وإضاعة المال ».(٤٥)

وقال ﷺ: « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور ، ألا وقول الزور وشهادة الزور فما

(٤٤) متفق عليه.

(٤٥) متفق عليه.

زال يقولها حتى قال أبو بكرة ، قلت ليته سكت» (٤٦).

وجاء رجل من الأنصار فقال يا رسول الله هل بقي عليَّ شيء من برِّ أبوي بعد موتهما أبرهما به؟ قال نعم ، خصال أربع: الصلاة عليهما والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما ، فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما (٤٧). وقال عليه الصلاة والسلام: « إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ودِّ أبيه بعد أن يولي الأب »(٤٨)

والمسلم إذ يعترف بهذا الحق لوالديه ويؤديه كاملاً طاعة لله تعالى وتنفيذاً لوصيته فإنه يلتزم كذلك إزاء والديه بالآداب الآتية:

١. طاعتهما في كل ما يأمران به ، أو ينهيان عنه مما ليس فيه معصية الله تعالى ومخالفة لشريعته إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق لقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن

(٤٦) متفق عليه.

(٤٧) رواه أبو داود.

(٤٨) رواه مسلم.

تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا ﴾[لقمان: ١٥].

٢. وقول الرسول ﷺ: « إنما الطاعة في المعروف». وقوله ﷺ: « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».
٣. توقيرهما وتعظيم شأنها ، وخفض الجناح ، وتكريمهما بالقول وبالفعل فلا ينهرهما ، ولا يرفع صوته فوق صوتهما ، ولا يمشي أمامهما ، ولا يؤثر عليهما زوجة ولا ولداًولا يدعوهما باسميهما بل بيا أبي ويا أمي ، ولا يسافر إلا بإذنهما ورضاهما.
٤. برهما بكل ما تصل إليه يداه ، وتتسع له طاقته من أنواع البر والإحسان ، كإطعامهما وكسوتهما ، وعلاج مريضهما ودفع الأذى عنهما وتقديم النفس فداءً لهما.
٥. صلة الرحم التي لا رحم له إلا من قبلهما والدعاء والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما.

## كيف نتعامل مع والدينا المسنين؟! (٤٩)

من المعروف أن الإنسان عندما يمر في كل مرحلة من مراحل عمره يكون لهذه المرحلة مهام يتوجب القيام بها ، وقد أسهم علم الاجتماع وعلم النفس في فهم الكثير عن النفس البشرية وما تمر به في كل مرحلة من مراحل العمر وفي كل مجتمع ، وعندما نتحدث عن الشيخوخة فإننا نتحدث عن مرحلة من العمر يصعب تحديدها بالأرقام وإن كان لفظ المسن يطلق عادة على من تجاوز الخمس والستين من عمره ، هذه المرحلة من العمر يكون المرء فيها قد جمع من الخبرات والتجارب في حياته الشيء الكثير وهو يقف على أعتاب فترة من الانحدار البدني أو الفكري أو كلاهما معاً. إنه ينظر إلى العقود الستة التي خلفها وراءه ويقوم إما واعياً مدركاً أو بدون وعي منه بتقييم هذه الفترة الزمنية الطويلة وما قدم فيها لنفسه ومن بعده من ذرية أو حتى للجنس البشري. وقد يكون الرضى وبالتالي الارتياح النفسي وقد يكون عدم الرضى وبالتالي

(٤٩) التعامل مع الآخرين فن هل تتقنه؟ ، د. عبدالرحمن بن علي الدوسري.ط١ - ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

الانهيار فريسة للأمراض النفسية من اكتئاب وقلق ونحو ذلك.

كذلك فإن المسن في هذه المرحلة من العمر يتوقع أن يأخذ مقابل سنين العطاء الطويلة ، يتوقع أن يقابل بالعرفان والتقدير ممن أفنى حياته في خدمتهم من ذرية وفي الغالب أن سلوكيات المسنين تكون محكومة بظروف حياتهم عبر السنين وأنماط شخصيتهم وظروف حياتهم الحالية ولكن يمكن القول دون مجانبة الصواب أن المسنين أقل مرونة وهذا شبيه بعدم مرونة عضلاتهم وجلودهم – كذلك فإنه يصعب عليهم تقبل التغيير في أسلوب الحياة والأفكار والسلوكيات وإن فرض عليهم الواقع ذلك التغيير فإنهم يواجهون بالرفض وعدم القبول وعدم القدرة على التكيف و بالتالي الشعور بالاضطراب والقلق والخوف أو حتى الكآبة من ناحية أخرى فإن المسن يكون أقل استجابة وأبطأ في تفاعلاته ومن ثم فإن الأمور التي تحتاج استجابة سريعة وجواباً أو عملاً سريعاً تكون صعبة عليه وإذا ما كان ذلك واجباً أو مطلوباً منه فإنه يفشل ، فمثلاً عند قيادة السيارة قد لا يمكنه تفادي التوقف المفاجئ للسيارة التي أمامه. وإدراكاً للمسنين لهذا القصور تجدهم يقودون سياراتهم ببطء وهدوء يقلل من احتمال هذه التفاعلات السريعة ، وما دمنا في نفس الموضوع من بطء الاستجابة فإن قدرة المسن على التعبير

عن مشاعره تكون أقل فيبدو بارداً قليل التفاعل لا يفرح بسرعة ولا يحزن بسرعة ، وقد يخلق ذلك حساسية لدى ذويه الذين لا يدركون هذه الخاصية فيتهمونه بعدم الاكتراث واللامبالاة. ولكن تجدر الإشارة إلى أن التقدم الكبير في السن وضمور الفص الجبهي للدماغ يؤدي إلى التغيرات السريعة والغير عادية في المزاج فمثلاً: يبكي المسن بسرعة عند الحديث عن قريب أو صديق حصل له مكروه ولكنه لا يلبث أن يضحك عندما يكون هناك سبب للضحك ولو بسيط قد تكون هذه الخاصية من بطء الاستجابة وعدم القدرة على الانفعال أو التفاعل السريع مثلبة في بعض الأحيان ولكنها منقبة للكبار فهم لا يتهورون ولا ينفعلون ولا يستعجلون في مواجهة الأحداث. بل يتروون ويفكرون تخدمهم خبرتهم وتجاربهم الطويلة – فتكون غالباً -آراؤهم صائبة وقراراتهم صحيحة.

وإضافة إلى ما ذكر من عوامل التقدم في العمر من الناحية النفسية والاجتماعية فإن المسن تحدث له تغيرات جسدية سلبية كثيرة فمثلاً يضعف البصر ويقل السمع وتضمر العضلات فتقل القوة الجسدية ويتجعد الجلد وتساقط الشعر. وهذا النقص بالذات في الحواس المهمة مثل السمع والبصر وفي القوة الجسدية يواكبه ازدياد الأمراض التي يمكن أن يصاب بها مثل ارتفاع ضغط الدم وداء البول

السكري وليونة العظام وهم نتيجة لذلك قد يحجمون عن الاختلاط والاجتماع ، وإذا ما توجب عليهم ذلك فإنهم يلتزمون الصمت إذ تحد من مشاركتهم ضعف السمع والبصر ناهيك عن عدم فهمهم لما يدور بين بني الجيل الجديد من حوارات ومواضيع. كذلك فإن عدم قدرة المسن على الرؤية الجيدة تجعله يخطئ في استعمال دوائه فيأخذ أكثر مما يجب أو أقل وفي هذا ضرر كبير على صحته.

أما النوم فإن المسن تقل قدرته على النوم ساعات طويلة فهو ينام مبكراً ويستيقظ كثيراً وبالتالي فهو ينام ساعات أقل ليلاً ويحتاج إلى النوم في النهار أكثر لتعويض ما يفوت عليه من الراحة.

**كيف نتعامل مع المسن؟**

**أولاً:** المسن يحتاج للحنان والرعاية والعطف مثل الصغير تماماً ويجب أن لا نبخل عليه بذلك.

**ثانياً:** يجب عدم الاصطدام مع المسن في رأي معين لأن موافقته وقتياً ومن ثم العودة مرة أو مرات أخرى لمحاولة إقناعه تأتي غالباً بما نرغبه من نتائج.

**ثالثاً:** المسن لا يتحمل الإلحاح عليه ومطالبته بالإسراع في أمر ما واستعجاله ويجب أن نعطيه الوقت الكافي لإنجاز ما يريد عمله.

**رابعاً:** يجب عدم مؤاخذة المسن لبرودته أو عدم اكتراثه بأمر معين لأن هذا يعني فقط أنه

يحتاج إلى وقت أطول للتفاعل مع الأحداث لا عدم المبالاة.

**خامساً:** يجب أن ندرك أن المسن يستمتع بالحديث عن الماضي السحيق لأنه يتذكره أكثر من الأحداث القريبة ، ولأنه يشعر باستعراض تجاربه وخبراته فعلينا أن لا نحرمه من ذلك بل نظهر له التفاعل والإعجاب.

**سادساً:** إن قصور السمع والبصر لدى المسن يجعله يبتعد شيئاً فشيئاً عن أحداث الواقع وذلك يوجب علينا التحدث بصوت مسموع ومحاولة جذب المسن للواقع بإخباره بما يدور من حوله وأخذ رأيه ومداعبته ، لأن ذلك مما يؤخر في عملية الانفصال عن الواقع والتي تحدث في الشيخوخة المتأخرة أو الهرم.

**سابعاً:** عند انتقال المسن من منزله الذي تعود عليه إلى مكان آخر مثل المستشفى مثلاً يتوجب الاهتمام بتقريبه للواقع والتحدث معه وإخباره عن المكان والزمان والناس من حوله ليظل مرتبطاً بواقعه.

**ثامناً:** يجب أن لا ننسى أن دعوة الوالد لولده لا ترد وما ورد في فضل بر الوالدين ووجوبه وأن الله ذكر ذلك بعد ذكر اسمه جل جلاله في أكثر من موضع وقد ذكر الرسول ﷺ سوء حال من أدرك والديه أو أحدهما ولم يدخلاه الجنة.

جعلنا الله من البارين بوالدينا المحترمين لذي الشيبة في الإسلام اللهم آمين.

## علاقة الأبوة والبنوة

إذا كنا نتحدث في العلاقات الأسرية فلابد أن نتعرف على ما رسمه الإسلام وبينه القرآن مما ينبغي أن يكون من علاقة طيبة بين الأبناء وأبويهم وكذلك بين الأبوين وأبنائهم ولنبدأ بالأمر الأول.

### علاقة الأبناء بالوالدين:

فينبغي أن تكون هذه العلاقة مبنية على التقدير والاحترام من الأبناء جهة أبويهم لأن فضل الوالدين على الأبناء لا يدرك مداه ولا يستطيع أحد أن يعرف كنهه كذلك نرى أن القرآن قد أهتم بهذه العلاقة اهتماماً قوياً وحث على توطيد هذه الصلة بشتى الوسائل وفي كثير من آياته دعا الأبناء إلى الإحسان إلى الوالدين في أسلوب بليغ محكم يفهمه من أعمل فكره وعقله.

الله سبحانه وتعالى في بعض هذه الآيات قرن الإحسان إلى الوالدين بالإيمان به سبحانه وتعالى وعدم الإشراك إذ يقول: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦].

وفي الوصايا العشر يقول عز وجل: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[الأنعام: ١٥١]

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٢٤]

والمتأمل في هذه الآية الأخيرة يلحظ إلى جانب الأمر بالإحسان إلى الوالدين الاهتمام بهما خاصة عند الكبر حين يحدث منهما ما لا يرتضيه الابن أحياناً فربما يقع من الولد إزاءهما آنذاك شيء من الضيق والتضجر فدعاه القرآن إلى أن يمسك بزمام نفسه ونهاه عن أن يقع منه أدنى إساءة إليهما حتى التأفف وعليه أن يلين القول لهما وأن يقف منهما موقف الاحترام البالغ والتكريم العظيم وأن يدعو لهما بالرحمة كما ربياه صغيرا ، وفي بعض

الآيات القرآنية الأخرى يوصي الله تعالى بالوالدين والإحسان إليهما ولو كانا مشركين شريطة ألا يطيعهما في معصية كالشرك وغيره إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق يقول تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [العنكبوت: ٨].

قال الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية: (وصاه بوالديه وأمره بالإحسان إليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما إذا أراداه على ما ذكر على أن كل حق وإن عظم ساقط إذا جاء حق الله وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ).

ثم ذكر سبب نزول هذه الآية فقال: « روي أن سعد بن أبي وقاص الزهري ﷺ حين أسلم قالت أمه وهي حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس: يا سعد بلغني أنك قد صبأت ، فو الله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح ، وأن الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد. وكان أحب ولدها إليها ، فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك ، فجاء سعد إلى رسول الله ﷺ وشكا إليه ، فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الأحقاف يعني

قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [لقمان: ١٤]

وقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا ﴾ [الأحقاف: ١٥ ].

فأمره رسول الله ﷺ أن يداريها ويرضاها بالإحسان. وروي أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي ، وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام أخواه لأمه أسماء بنت محزمة امرأة من بني تميم من بني حنظلة ، فنزلا بعياش وقالا له: إن من دين الله صلة الأرحام وبر الوالدين وقد تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك وهي أشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه الذروة والغارب ، فاستشار عمر رضي الله عنه فقال: هما يخدعانك ولك علي أن أقسم مالي بيني وبينك ، فما زالا به حتى أطاعهما وعصى عمر ، فقال له عمر: أما إذا عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها ، فإن رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا إلى البيداء قال أبو جهل: إن ناقتي قد كلت فاحملني معك ، قال نعم: فنزل

ليوطئ لنفسه وله فأخذاه وشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به إلى أمه. فقالت: لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت(٥٠)وهذا يدلنا دلالة واضحة على مدى اهتمام الإسلام بتحسين العلاقة وتقويتها بين الأبناء والوالدين ولو كان الوالدان مشركين.

هذا وهناك آيات أخرى في القرآن الكريم تأمر بالإحسان إلى الوالدين وتوصي بهما خيراً وتذكر ما يعتبر كالتعليل لهذا التوجيه يقول الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: ١٤].ومعنى وهنا على وهن: أي ضعفا على ضعف ، وفي آية أخرى يقول: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾[الأحقاف:١٥].فحمله كرها ما تعاني منه الأم من الضعف والثقل في فترة الحمل ووضعه كرها ما تكون منه في شدة وضيق أثناء الوضع. ففي هاتين الآيتين بعد أن وصى

(٥٠) الكشاف ج ٣ ص ١٩٨.

بالإحسان إلى الوالدين بين أنهما يستوجبان ذلك لما لقياه من متاعب جمة في فترات الحمل والولادة والرضاع. فنحن نلاحظ أن الله يأمر بالإحسان إلى الوالدين ثم يذكر بعد ذلك ما تعاني منه الأم خاصة. والحقيقة أن الأم وإن كانت تتحمل العبء الأكبر في ذلك فإن الأب كذلك لا تنكر جهوده في هذه المراحل لأن الأب يتحمل عبء الرعاية والإنفاق وتحصيل ما تكون المرأة في حاجة إليه والقرآن حين يذكر ما تختص به الأم لأنه الظاهر الملاحظ أو لأن الأم لضعفها فهي في حاجة إلى الرعاية والحنو عليها.

وما جاء به القرآن من دعوة إلى بر الوالدين والإحسان إليهما جدير بالمراعاة والتنفيذ والملازمة لأن واقع الحياة يبين لنا مدى ما يتحمله الوالدان من المتاعب والمشاق قبل الولادة وأثنائها وبعدها وما بعد ذلك إذ الملاحظ أن الوالدين يهتمان بأبنائهم ولو كانوا كباراً.

وإلى جانب ما جاء في القرآن الكريم من الإحسان إلى الوالدين والوصية بهما فقد جاءت السنة المطهرة تدعو إلى ذلك وترغب فيه وتحذر من عقوقهما والإساءة إليهما من ذلك ما جاء مبيناً أن بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله ، روى البخاري بسنده عن أبي عمرو الشيباني قال: « أخبرنا صاحب هذه الدار ، وأومأ بيده إلى دار

عبدالله ، قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال الصلاة على وقتها ،قلت:ثم أي؟ قال: بر الوالدين ، قال ثم أي؟ قال الجهاد في سبيل الله ، قال يحدثني بهم ولو استزدته لزادني» [٥١]وإلى جانب الأمر ببر الوالدين حرصاً على تقوية العلاقة بين أفراد الأسرة فقد حذر النبي ﷺ من عقوق الوالدين واعتبره من الكبائر لأن فيه إنكار للمعروف وإفساد للعلاقات الأسرية وتقويضاً للرباط الوثيق بين الأبناء ووالديهم عن عبدالرحمن بن بكرة عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور أو قول الزور...الحديث».

من كل ما تقدم نلاحظ مدى اهتمام الإسلام بالوالدين وحث الأبناء بشتى الوسائل والطرق على إحسان صلتهما والأسرة في الإسلام بناء شامخ وصرح متين وجسد متماسك وخلايا متوائمة ومحافظة عليها من التفكك أو الانهيار حرص القرآن والسنة على توطيد العلاقة بين أفرادها بشتى الوسائل؟ وإذا ما عامل الأبناء آباءهم المعاملة

(٥١) البخاري ج٨ ص٢

الشرعية الإسلامية الصحيحة وصل ذلك بالأسرة إلى حد التماسك والتكامل لذلك نرى أن الشرع لم يأمر ببر الوالدين في حياتهما فقط بل حث على استمرار ذلك بعد وفاتهما بأن يستغفر لهما ويدعو لهما بالرحمة ويرحم كذلك أصدقاءهما ويصل من كانا يصلان ويكرم من كانا يكرمان وإذن فحق الوالدين على الأولاد طاعتهما ما داما يأمران بالخير فإن أمرا بمصيبة فلا تجوز طاعتهما إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ومن حقهما البر بهما والقيام على راحتهما وعدم الإساءة إليهما ولو بالتأفف وألا يتسبب في سبهما فعن عبدالله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه »[٥٢] هذا هو المنهج الإسلامي في معاملة الأبناء لأبويهم وهو منهج لم يستطع أن يصل إليه أي نظام اجتماعي قديم أو حديث لأن ذلك المنهج مستمد من قبل السماء وهيهات أن يصل منهج البشر إلى مساراته أو مقارنته لمنهج الله عز وجل.[٥٣]

---

(٥٢) البخاري جـ ٨ ص ٣

(٥٣) العلاقات الإنسانية في القرآن والسنة ، دكتور مجاهد محمد هريدي – ط٢-١٤٠١هـ

/ ١٩٨١م.

## علاقة الطفل بوالديه (٥٤)

إن علاقة الطفل بأمه وأبيه تبدأ بعد ولادته مباشرة ، فأمه التي تقوم برضاعته ورعايته والأب متكفل بطلباته ، بالإضافة إلى لمسات الحب منه لذلك ينبغي أن تكون علاقته بوالديه مبنية على حبه لهما ، وبره بهما ، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية كثيرة في هذا الباب لكن ما يعنينا هنا وأن نعلم الطفل عملياً كيف يكون باراً بهما ، وأن يصبح ذلك خلقا له بإتباع الخطوات التالية:

١. ألا يحقر أحد الوالدين من شأن الآخر أمام الطفل ، فيقل شأنه في نفسه ويعتاد على عدم احترامه ، وعلى الوالدين أن يزجر أحدهما الطفل إذا قلل الطفل من شأن أحد والديه.
٢. أن يعود الطفل أن يذكر والديه عند الخطاب بألفاظ الاحترام اللائقة به.
٣. إذا كان الجد حيا فعلى الوالدين أن يظهرا حبهما واحترامهما وبرهما له باعتباره أب لهما أمام طفلهما ، فإن هذا يزرع في نفس الطفل حبه لوالديه وتقليدهما فيما يفعلان بوالديهما.

---

(٥٤) تربية الطفل في الإسلام ، د. أحمد محمود الحمد – ط١ – ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤. إذا خاطب أحد الوالدين يخفض صوته ولا يرفعه أمامهما ولا ينهرهما ولو بأقل كلمة.
٥. إذا أقبل أحد الوالدين يحمل شيئاً ، على الطفل أن يسرع ليحمل عنه ذلك الشيء.
٦. ألا يجلس ووالديه أو أحدهما واقف ، بل لا يجلس حتى يستأذن منهما بالجلوس.
٧. أن يقبل أيديهما وأن يلقي عليهما السلام إذا دخل عليهما.
٨. ألا يدخل على والديه الغرفة التي ينامان فيها إلا بعد طرق الباب والاستئذان منهما.
٩. إذا علم سرا من أحد والديه ، فعليه أن يحفظه ولا يفشيه.
١٠. أن يستجيب لندائها بسرعة ، وإذا استدعياه.
١١. أن يدعو لوالديه عقب الصلوات ، ويظل يدعو لهما بعد موتهما.
١٢. أن يحاول إدخال السرور عليهما ، والتودد لهما ، والتقريب منهما ، ولا يفعل ما يغضبهما.
١٣. إذا مرض أحدهما يلازمه ما استطاع ، ويقوم بخدمته ويحرص على راحته ، ويتابع علاجه.
١٤. ألا يكلفهم بطلبات خاصة له تفوق طاقتهما.

١٥. إذا كلفه أحد الوالدين بعمل أو الخروج لقضاء حاجة فلا يشكو ولا يتأفف بل يظهر الرضا والرغبة في طاعتهما ورضاهما تقربا إلى الله تعالى.

## مسؤولية الأبناء تجاه الآباء (٥٥)

يعرف الكثير منا كيف يكون الآباء مسؤولين عن أبنائهم من شتى النواحي المادية والمعنوية وفي شتي مراحل العمر الأولى في هذا الطريق المليء بأشواك الطفولة والمراهقة ومتاعبهما حتى يصل الآباء بأبنائهم دور الرجولة والاكتمال الروحي والعقلي والجسمي.

والقاعدة التي تقول الغنم بالغرم تعلق عن نفسها هنا فلا بد أن يقوم الأبناء من جانبهم برد بعض الجميل إلى آبائهم عندما يشتد ساعدهم ويقوون على مواجهة أعباء الحياة وتكاليفها – ومن الملاحظ هنا أن كل ما يبلغه الأبناء من القدرة والاكتمال إنما مرجعه ومظهره القدرة الإلهية فيه إنما هم الآباء الذين يفنون حياتهم وقواهم في تربية هؤلاء البنين ثم هم بعد ذلك الجهاد الطويل سائرون ولا محالة من قوة إلى ضعف ومن صحة إلى مرض ومن اكتمال وحيوية إلى شيخوخة وشيبة فما اشد حاجتهم إلى من يرد لهم بعض ما بذلوا ويعوضهم شيئاً مما فقدوا – ونقول البعض ونعني ذلك النص بكل ما فيه من معنى حيث أن الأبناء

---

(٥٥) المسؤولية في الإسلام ، محمد زكي الدين حجازي.

مهما قاموا بواجب البر والمعروف نحو آبائهم فإنهم لن يستطيعوا القيام بشيء من جميل الوالدين إذ كانا سبب وجودهم بالإضافة إلى أعباء الحمل والرضاعة والحضانة وذلك أمر ليس إليه ولا إلى التعريض عنه سبيل.. ومن هنا قال النبي ﷺ « لا يجزي ولد عن والده حتى يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه »(٥٦).

وروى عن بريدة عن أبيه أن رجلا كان في الطواف حاملاً أمه يطوف بها فسأل النبي ﷺ هل أديت حقها.. قال: لا ولا بزفرة واحدة(٥٧).

ولعل سبب ذلك هو أنه يفعل ما يفعل من برها وهو يرجو وفاتها وكانت تفعل له ما يحتاجه وتبذل كل ما تستطيع نحوه وهي ترجو حياته... والفرق بين الحالين غير متناسب.

ومن هنا شاع في كتاب الله عز وجل وحديث النبي ﷺ وسيرة السلف الصالح الوصية بالوالدين بهم – وليس أقوى في الدلالة على ذلك من أن القرآن الكريم كثيرا ما يقرن الوصية بالوالدين

---

(٥٦) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥٧) رواه البزار (اسلامنا )

بالأمر بوحدانيته وإخلاص العبادة له مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ ﴾ [النساء:٣٦].إلى جانب تأكيد هذا الأمر الواجب التنفيذ من بر الوالدين والإحسان إليهما في كثير من آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ ﴾[العنكبوت: ٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ ﴾ [لقمان: ١٤].

ويقول جل شأنه: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا ﴾[الأحقاف: ١٥]

الأمر الذي جعل هذا العمل يلي وحدانية الله تارة ومظهر الوحدانية العملي وهي الصلاة تارة أخرى فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: الصلاة

على وقتها.. قلت ثم أي؟ قال: بر الوالدين قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله»[٥٨].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد وابتغي الأجر من الله تعالى ، قال فهل من والديك أحد حي؟ قال نعم بل كلاهما. قال فنبتغي الأجر من الله تعالى؟ قال: نعم قال فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما[٥٩] وفي رواية: جاء رجل فأستأذنه في الجهاد فقال أحي والداك قال نعم ، قال: ففيهما فجاهد وليس المراد تهوين شأن الجهاد ولكن تعظيم بر الوالدين.. على أن هذا الواجب يتأكد وجوبه ويزداد لزومه عند ما يحل بالوالدين الكبر ولهذا اقتضى النص عليه لما فيه من شدة حاجة الوالدين إلى المعونة في هذا السن وانصراف الأبناء عنهما. وتمنيهم زوال الآباء في كثير من الأحيان لما يحتاجونه من مطالب أو لما وراءهم من ميراث.. فيقول الله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ

(٥٨) متفق عليه.

(٥٩) متفق عليه

عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٢٤].

وإذا تدبرنا هذا النص نجد أنه بلغ بالبر في هذه المرحلة من سعد الأبوين أسما منازل الكمال والسمو في أكبر صورة وأروع عبارة – والنبي ﷺ يقول: « رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة»(٦٠).

ومن تأكيد هذا الحق أيضاً أنه يجب لهما هذا البر وإن كانا كافرين فالله تعالى يقول: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ

(٦٠) رواه مسلم

وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

[لقمان:١٤ -١٥].

وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها قالت قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فأستفتيت رسول الله ﷺ قلت: قدمت علي أمي وهي راغبة أفأصل أمي؟ قال نعم ، صلي أمك »[٦١].

ولا ينتهي ذلك الحق عند حياتهما بل إنه مستمر ما بقيت الحياة في أبنائهما أو حياة الولد يعتبر امتداداً في حياة أبويه ولذلك كان مما يصل إلى ميت بعد وفاته دعاء ولده له«أو ولد صالح يدعو له» وقال مالك بن ربيعة بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي علي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد وفاتهما؟ قال نعم: « الصلاة عليهما

(٦١) متفق عليه.

والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما – وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما» (٦٢).

ولا يخفى ما في ذلك من تأكيد حق الرحم التي لا قنطرة إليهما إلا هما ولا سبيل للصلة بهما إلا عن طريقهما وإن كانت قد تميزات في كتاب الله تعالى وحديث نبيه ﷺ بنصوص مستقلة تؤكد حقها فيقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ [النساء: ١].

وقوله عليه الصلاة والسلام: الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله. (٦٣)

وحب المسلم والأسرة المسلمة أن تلتزم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ لتتفتح أمام الأمة الإسلامية مسالك العزة والسعادة في الدنيا والآخرة بما لا يحتاج معه أحدهم إلى أن بلغت إلى ما في يد الغير يستجد به ويستعيد منه حيث قد أتم الله الدين وأتم النعمة وأكمل الشريعة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ

(٦٢) أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حيان والحاكم وقال صحيح الإسناد.

(٦٣) متفق عليه.

دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

يقول عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع:

« وقد تركت فيكم ما أن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه»(٦٤).

❀❀❀

(٦٤) سيرة بن هشام ج٤ حجة الوداع.

## كيف تستثمر والديك (٦٥)

إن وجود الوالدين بالقرب من الأولاد من أعظم النعم في هذه الحياة التي ينبغي تقديرها واستثمارها قبل فوات الأوان ، فإن الحياة قصيرة والآجال محدودة والمفرط من فرط بالفرص التي لا تعوض!

ولقد حث الإسلام على بر الوالدين والإحسان إليهما لا سيما عند الكبر لما في ذلك من الوفاء والعرفان بالجميل قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٢٤].

---

(٦٥) كيف تستثمر طاقاتك؟ ، د. يوسف بن عبدالله التركي – ط١ – ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان:١٤-١٥].

وإن المتأمل في التوجيهات النبوية الشريفة ليتأكد له عظم منزلة الوالدين ، والتأكيد على حسن صحبتهما في الحياة ليكونا بوابة الدخول لجنة النعيم في الآخرة. فعن أبي هريرة ﷺقال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: « أمك » قال: ثم من؟ قال: « أمك » قال: ثم من؟ قال: « أمك » قال: ثم من؟ قال: «أبوك»(٦٦).

(٦٦) متفق عليه.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه من أدرك أبويه عند الكبر ، أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة». (٦٧)

ولقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يبتغي الأجر من الله من خلال طلب الهجرة والجهاد في سبيل الله وما أعظمها من استثمار! ومع ذلك كان التوجيه النبوي الشريف عظيماً في معانيه لمن تدبره بقلب واع وأحسن استثمار فرصة قربه من والديه قبل فوات الأوان. فعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله. فقال: « هل لك من والديك أحد حيٌّ؟ » قال: نعم بل كلاهما. قال: «فتبتغي الأجر من الله تعالى؟ »قال: نعم قال: « فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما». (٦٨)

ولقد حرص الصحابة رضوان الله عليهم على التنافس في كل أبواب الخير الفاضلة فكانوا يسألون

---

(٦٧) رواه مسلم.

(٦٨) متفق عليه.

الرسول ﷺ عن كل ما يحبه الله عز وجل ويحرصون على معرفة الأولويات في أفضلية الأعمال التي يحبها الله عز وجل. فعن أبي عبدالرحمن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: « الصلاة على وقتها » قلت: ثم أي؟ قال: « بر الوالدين ». قلت ثم أي؟ قال: « الجهاد في سبيل الله »(٦٩).

وإن بر الوالدين لا ينتهي بموتهما ، بل يستمر حتى بعد الممات من خلال الدعاء لهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما والصدقة عنهما وكل ذلك في ضوء ما شرعه الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ. عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « إن أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه » (٧٠).

(٦٩) متفق عليه.

(٧٠) رواه مسلم.

وعن عائشة ﵂ أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أمي افْتُلتت نفسها(٧١) وأراها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: « نعم ». (٧٢)

وهكذا تجد المؤمن لا ينسى والديه في جميع مراحل حياته ، بل يحرص على استثمار وجودهما بجواره ، لينال بذلك الأجر العظيم المترتب على برهما والإحسان إليهما بالكلمة الطيبة والعطف والحنان وقضاء حوائجهما بكل فرح وسرور.

وإذا كانت الظروف لا تسمح بأن يكون الولد بقرب والديه مثل: ارتباطه بعمل وظيفي ، أو التحاقه بجامعة لطلب العلم فليحرص على الاتصال المستمر بهما وزيارتهما وتفقد أحوالهما وقضاء حوائجهما على الدوام حتى يشعران بأنهما محل اهتمام وعناية أولادهما ، وليلهج اللسان طوال الحياة بالدعاء الصادق لهما بالمغفرة والرحمة. قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٤].

---

(٧١) افتلتت نفسها: أي ماتت. أراها: أظنها.

(٧٢) متفق عليه

## إتيكيت الذوق في التعامل مع الوالدين [٧٣]

فن التعامل ، حسن التصرف ، السلوك الحسن ، مكارم الأخلاق ، جميع التعريفات السابقة هي مسميات لما يعرف حالياً بـ«الإتيكيت ».

فالارتباط وثيق بين الأخلاق والمبادئ والذوق وبين السلوك الذي يهتم به الاتيكيت بمعنى أن الاتيكيت يهتم بسلوك الأفراد الذي يعكس قيمهم وأخلاقهم ومبادئهم ويعبر عن ذوقهم في التعامل.

والذوق كلمة إيجابية تحمل في طياتها أجمل وأبلغ معاني التهذيب واللطف وحسن التعامل.

وإذا كنا نحرص دائماً على إتباع قواعد الذوق وآداب المعاملة في كل مجالات حياتنا فمن الأولى أن نتبع قواعد الاتيكيت مع الأشخاص الذين يحتلون الجزء الأكبر في خارطة حياتنا ( العائلة ) وحيث أن الوالدين أهم الأشخاص في العائلة فهذه هي مبادئ إتيكيت الذوق في التعامل مع الوالدين:

- الذوق في التعامل مع الوالدين يكمن في البر أولاً ثم التفاني في التعامل معهما بأسما وأروع معاني البر والرحمة والذوق. البدء بالسلام عليهما.

---

(٧٣) مجلة فواصل العدد (٢٢٦) ١/ ١٠/ ٢٠٠٨م .

- من الذوق مخاطبتهما بتهذيب مع عدم رفع الصوت وإجابة نداءهما باللطف والتبسم في وجههما.
- التحدث إليهما باحترام يدل على أنهما سيدا الموقف والنظر المباشر إلى عينيهما في خضوع ورفق وعدم الانشغال عنهما ( فليس في المخلوقات من يستحق أن ننشغل به عنهما ).
- عدم البدء بالأكل أو الشرب قبلهما.
- تقديم الطعام لهما بأيدينا وتفضيلهما بطيب الطعام على أنفسنا.
- ومن الذوق مع الوالدين أن تجاملهما دون معصية وأن تمدح ما يفعلان حتى لو تعارض مع رغباتك.
- الاستئذان قبل الدخول عليهما ( قرع الباب ) والانتظار حتى يمسحا لي بالدخول.
- تقديمهما عند الدخول والخروج.
- الاعتدال في الجلوس عند دخولهما الغرفة.
- مساعدتهما في حالة المرض والاعتناء بهما حتى إن وجد من يقوم بتلك المهام فهذا أقل ما يقدم من معروف تجاههما والتعبير لهما بالحب والامتنان.
- تقديم الهدايا لهما في مناسبات الأعياد وكتابة عبارات الشكر والحب.

- احترام خصوصية أحاديثهما بعدم استراق السمع لأحاديثهما المباشرة أو عبر المكلمات الهاتفية.

# أهم المراجع

١-موسوعة المرأة المسلمة – ج١- هيا بنت مبارك البريك – ط٥ – ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.
٢-مسؤولية الآباء تجاه الأولاد – تأليف ، د. عبدالربّ نّواب الدين آل نوّاب – ط٢-١٤٢٣هـ.
٣-نصائح عامة – إعداد عبدالمحسن عبدالرحمن اللحيد -١٤٣١هـ.
٤-تربية الناشئ المسلم – الدكتور علي عبد الحليم محمود –ط٢-١٤١٣هـ /١٩٩٢م.
٥-المستطرف في كل فن مستظرف – تأليف بهاء الدين محمد بن أحمد الأبشيهي – ط١- ١٩٩٧م.
٦-الوصايا الذهبية للمرأة العصرية – هيا بنت مبارك البريك – ط٣-١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م.
٧-أخلاقنا – تأليف ، الدكتور محمد ربيع محمد جوهري – ط٥-١٤٢٢هـ /٢٠٠١م.
٨-منهاج المسلم – أبو بكر الجزائري -١٤٠٦م.
٩-التعامل مع الآخرين فن.. هل تتقنه؟! ، د. عبدالرحمن بن علي الدوسري – ط١- ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م.
١٠-تربية الطفل في الإسلام ، د. أحمد محمود الحمد – ط١-١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.
١١-كيف تستثمر طاقاتك؟ ، د. يوسف بن عبدالله التركي – ط١-١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م.

١٢-المرأة ماذا بعد السقوط؟. تأليف بدرية العزّاز – ط٢-١٩٨٨م.
١٣-المسؤولية في الإسلام ، محمد ذكي الدين حجازي ( بدون تاريخ ورقم طبعه ).
١٤-العلاقات الإنسانية في القرآن والسنة ، الدكتور مجاهد محمد هريدي – ط٢-١٤٠١هـ /١٩٨١م.
١٥-من ثمرات برّ الوالدين ، بثينة السيد العراقي – ط١-١٤٣١هـ /٢٠١٠م.
١٦-أعداد مختلفة من الصحف والمجلات.

# الفهرس

الإهداء ..... ٥
تقديم..... ٧
البر بالوالدين ..... ٨
والدينا.. كيف نبرّهما؟ ..... ١٣
البّر بالوالدين حق من حقوهما..... ٢٦
بر الوالدين حديث لا يمّل ..... ٢٩
البر بالوالدين خلق نبيل ضدّ العقوق ..... ٣٣
بر الوالدين وذم العقوق ..... ٣٨
البر بالوالدين والإحسان إليهما ..... ٤٢
عشر صور من بر الوالدين..... ٤٤
فضائل البر بالوالدين..... ٤٦
الرحمة بالأبوين..... ٥٠
من معاني الإحسان إلى الوالدين..... ٦٢
الأدب مع الوالدين..... ٦٤
كيف نتعامل مع والدينا المسنين؟!..... ٦٨
علاقة الأبوة والبنوة..... ٧٤
علاقة الطفل بوالديه..... ٨٣
مسؤولية الأبناء تجاه الآباء ..... ٨٦
كيف تستثمر والديك..... ٩٤
إتيكيت الذوق في التعامل مع الوالدين..... ١٠٠
أهم المراجع ..... ١٠٤
الفهرس ..... ١٠٦

رسالة إلى ا لقارئ الكريم.....١٠٨

## رسالة إلى القارئ الكريم

عند وجود أي ملاحظات على الكتاب أو الرغبة في التواصل مع الكاتب يمكن ذلك عن طريق العناوين التالية:

ص ، ب ٧٠٣٩٨ الرياض ١١٥٦٧
جـــــــــوال: ٩٦٦٥٠٨٢٧٣٢٠٩+
بريد إلكتروني:
DR.ALDOSSARY@HOTMAIL.COM

أو عن طريق عناوين الناشر.